دعاء تغمر الركبا

الأستاذ محمد أمين أبو بكر (❖)

أَشْعِلْ قَريضَكَ في آفاقنا لهبا ... وانثرْ فرائده في ليلنا شهبا
واسكبْ قصيدكَ نوراً في مسالكنا ... يعانق القلبَ والعينين والهُدُبا
كلُّ القوافي التي هامَ الفؤاد بها ... نصبٌّ منها على أعدائنا الغضبا
ما صُغْتُ قافيتي في سحرِ غانيةٍ ... أناشدُ الوصلَ أو أُزْجي لها العَتَبا
وكيف يهوى فؤاد غاصَ في سقمٍ ... طعمَ الغرام إذا ما كان ملتهبا
إن ودَّعتْ قلمي في الليل نازلةٌ ... نورَ الصباح، لأخرى كان مُرتَقَبَا
في كلِّ أرضٍ نذوقُ اليوم فاجعةً ... سوداء تُنبتُ في أعماقنا الكربَا
اليومَ تسبحُ في الآلامِ بائسة ... يتيمةٌ، تَجْرَعُ الأهوالَ والنصبا
من كلّ عِلْجٍ، حقودٍ في مضاربها ... أراقَ منها عَفافَ الطُّهر واغتصبا
تلفَّتتْ والدموعُ الجمرُ عِدَّتُها ... تستنهصُ التركَ والأعجامَ والعربا
تقولُ: يا قوم، هُبّوا فالصليبُ هنا ... يصبٌّ في مقلتيَّ الجمرَ واللهبا
اليومَ حولي ذئابٌ كلُّها ظمأٌ ... تعوي، لتنزع عني السّترَ والحُجُبا
أذوقُ ما لم تّذُقْهُ العمرَ ثاكلةٌ ... في عالمٍ يعشقُ التدجيلَ والكذبا
حيث الضمائرُ في الأجداثِ هامدةٌ ... والأمن أصبحَ في أطرافه خَربا
نظام غدرٍ جديد، عالميَّتهُ ... في أن يُصَنِّعَ من أشلائنا، لُعَبا!
فاسمعْ نداء الضحايا كُلَّ ثانيةٍ ... في الكوْن تندبُ أماً مُزِّقَتْ وأَبا!
جيشٌ من الصرب، لم نشهدْ له مثلاً ... دماءَ أطفالنا، في زَحْفِه شَرِبا!

(❖) الأستاذ محمد أمين أبو بكر : ولد في دمشق عام ١٩٥٠م. وله قصائد ومقالات نقدية في المجلات الإسلامية.

ومجلسُ الرُّعْبِ في أملاك شدَّتنا ... أشاحَ عنا بطرف الحقد وانسحبَا!
وهيئةُ الغَدْرِ تلهو اليومَ في دمنا ... وتنشرُ الذعرَ والأهوالَ والنُّوبَا!
واليومَ نهرُ بلاءٍ سارَ في دمنا ... لتوكُ ويلاتهُ الأطهار والنجبا
لتصبحَ الهرسكُ الخضراء باكيةً ... حمراءَ يشكو شذاها الطعنُ والحَرَبا
وتصبحَ المدنُ البيضاءُ مقفرةً ... فيها الزمانُ بكى الأهلينَ وانتحبا
فيها الأئمةُ أشلاءً تَقاذَفها ... بحرُ الدماء وأعلى حولَها العَبَبا
ومجلس الرعب من قاعاتِ مجلسه ... يصبُّ في النار زيتَ الحقد والحطبا
ذئابُ غدرٍ تعبُّ اليومَ من دمنا ... لتُشبِعَ الكفرَ والأحقاد والصلبا
تعلَّموا كل هذا الغوصِ في دمنا ... من جيشِ شاميرَ فاسأل عنهم النَّقَبا
«محمدُ الفاتحُ» المقدامُ كان بها ... يجني من الحربِ نصراً أينما وثبا
كم ساقَ أعلامهم في الأرض صاغرةً ... إن قادَ جحفلَهُ أو قال أو كتبا
في البرِّ والبحر، كم كانت كتائبُهُ ... طَوْداً أَشَمَّ على ساحاتها نُصبا
معاقلُ الكفر، في أبراجِ عزَّتها ... كانت يباباً، يهابُ الجحفلَ اللَّجبا
إذا أتاها، قبيلَ الفجر مقتحماً ... لله لا يبتغي جاهاً ولا نَشَبَا
تهلّلت دونَهُ الأبوابُ مُشْرَعَةً ... ليصبحُ الحقُّ في أبنائها نَسبا
وإن تمنَّع حصنٌ دونَ دعوتهِ ... صبَّ الأسودُ على أبراجه الغضبا
آلى على نفسه في أوجِ قوّته ... أن يزرعَ البِشْرَ والأفراحَ والرَّغَبا
ويفتدي رحمةً فاضتْ جداولُها ... في الأرضِ تحتضن البلغارَ والصَرَبا
يمحو بنورِ الهدى أحلاكَ ظلمتها ... ويزرعُ التينَ والزيتونَ والعنبا!
ويجعلُ القممُ الخضراءَ مشرقةً ... من حولهم بالأقاحي أينَما ذهبا!
لكنّهمْ عندما آل الزِّمامُ لهم ... وعاد سلطانُهم من بعد ما غَرَبا!
ألقوْا على قبرِهِ في لُجِّ نكبتنا ... أشلاءَ جيلٍ وشبّوا فيهم اللَّهبا

من كل طفلٍ رصاصُ الغدر ينهشُهُ ... كـأنَّهمْ حـقّـقـوا في قـتلهِ الأَرَبا
بقـرُ البطون بهـا صـاغـوهُ أُغنيـة ... جيشُ الصليب على ألحانِها طَربا
واسـألْهُم عن صلاحِ الدين كيف غدا ... نبعاً من الحب والتَّحنان ما نَضَبا
من بعـدِ مـا أَهْرَقُوا في يومِ هجـمـتهمْ ... على ثَرانا دمـاءً نغـمُـرُ الرُّكَـبـا
فبـادَلَ القتلَ صفـحاً يومَ فاز بهمْ ... عن كلِّ طاغـيـةٍ أرواحَنا نَهَـبـا
وقابَل الجحفلَ الغدَّار مبـتسـماً ... لكلّ نَمْـرودَ في بحـرِ الدِّمـا ركَبَـا
قـرآنُنا كـان في الهـيـجـاءِ عـدَّتُهُ ... إذ إنَه لِهُـدى قـرآننا انْتَـسَـبَـا
واليومَ من دمنا في ساحِ مسجدِنا ... جيشُ الصّليب، وفي محـرابِهِ شَـربا
لو أنَّ صـخـراً أصـمّاً، ذاقَ خـردلةً ... مما رأَوْه، لعـاش العـمـر مُنْتَحـبـا
سيلُ الدُّمـوع، على أنقاضِ روضـتِها ... في كل آنٍ، على أشـــلائنا نَدَبا
حـتى كـأنَّ عـيـونَ القـوم لاهبـةٌ ... والدمعَ فيها، مع البلواء قد نَضَبا
دكَّ الصليبُ بهـا، غَـدْراً أهلَّتـهَـا ... وهدَّمتْ نارُه المحـراب والقـبَـبـا
سُرداقُ الخمر، في شتّى مساجدِها ... من العلوجِ على أشـلائنا نُصـبـا
فـاسـمعْ أَخـانا، سـراييـفـو مكبـرةً ... تحرِّكُ الصخر، والأمواتَ والخُشُبا
لكنَّمـا أُمّـتي نامَتْ ومـا سـمـعتْ ... صوت الزلازل فاسمع في الدُنا عجبا

❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖